

لمدة ٩٩ عاما) للاقطعيين الذين يقومون بإنشاء الاستثمارات الزراعية الضخمة على هذه الارض بعد ان تم طرد الفلاحين الذين كانوا سابقا يدفعون الخمس الى الاوقاف. كما قامت الاوقاف بشراء الاراضي الملائمة للاستثمارات الزراعية.

وتقوم فئة الفلاحين الاغنياء بنزع ملكية اراضي الفلاحين لكن بشكل اضيق واكثر حسية للفلاحين، حيث ان هذه الفئة تفتصب افضل قطع الارض المستأجرة. كما حدث في نهاية عام ١٩٢٨ في منطقة حيفا، حيث كان عدد من الفلاحين الاغنياء في قرية عرعر قد اشترى من الاقطعيين ٥٠٠٠ دونم من الارض المستأجرة من فلاحي عيون قارا الفقيرة المجاورة، على مدى زمني كبير، بالرغم من كونها مصدر رزقهم الوحيد.

ولم يطرد الفلاحون بمفردهم من الارض وانما اصبح البدو ايضا موضع الطرد من الارض التي يستخدموها. واخذت الجمعيات الصهيونية تحصل وفي الفترة الاخيرة المستثمرون العرب ايضا، على حق استخدام الارض المعتبرة مشاعا بصورة رسمية. بينما يستخدمها عمليا البدو نصف المترجلين ونصف المستقرين، الذين يقومون باستثماراتهم البدائية على هذه الارض.

ان اعطاء حق استخدام الاراضي الرملية والمستنقعات في الشريط الساحلي بشكل رئيسي، اجبر البدو على مغادرة هذه الارض التي يقوم الحاصل على حق استخدامها بالعمل فيها (تجفيف المستنقعات وغرس القابات وسواها).

كيف تتوزع الارض بين الاقطعيين والفلاحين؟

لا توجد معطيات رسمية حول هذا الموضوع. لكن المعطيات التي كان قد نشرها الاختصاصيون المحليون الصهاينة حتى عام ١٩٢٥، تفيد ان هناك في ايدي الاقطعيين ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ دونم من الاراضي المزروعة او القابلة للزراعة. وايضا ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ دونم من المراعي والمستنقعات. بينما وجد في ايدي الفلاحين ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ دونم من الفئة الاولى و١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ من الفئة الثانية. وضمن هذه المساحة، تدخل الاراضي المتواجدة من الحكومة. ويوجد بشكل متوسط لادى كل اسرة ٦٠ دونما، اذا اخذنا بعين الاعتبار الاستغلال الافقي والاستثمارات الفلاحية، فان هذا يعتبر معدل الجوع.

في الواقع نجد ان الاراضي موزعة بين الفلاحين بصورة غير متساوية: فالقسم الاكبر من الفلاحين يقع تحت وطأة انعدام ملكية الاراضي كليا او جزئيا. وباختصار ما ذكرناه سابقا نستطيع التوصل الى النتائج التالية:

- ١- الصراع الطبقي في القرية الفلسطينية المعاصرة يحتدم بشكل عنيف.
- ٢- التناقض الاساسي هو التناقض بين ملاكي الارض الكبار والعرب واليهود من جهة، وبين الفلاحين اصحاب الملكية الصغيرة والمستأجرين من جهة اخرى.
- ٣- تتقدم وتحتدم العلاقات بين العمال الزراعيين والاقطعيين الكبار وايضا فئة الفلاحين الاغنياء.
- ٤- يحتدم الصراع ضمن القرية ما بين الاجراء، وبشكل عام معظم الفلاحين الفقراء، وبين فئة الفلاحين الاغنياء.

ووقع الاخذ بعين الاعتبار تطور الرأسمالية المهم، فان التناقض الاساسي في القرية يبقى تناقضا ضمن اطار الاقطاعية.

الامبريالية والفلاحون:

ان صورة العمليات المرسومة سابقا، تجري على خلفية افكار القطاع الاساسي من الفلاحين، وتنمية استغلال الامبريالية الانجليزية الجشع. فلقد حطمت الاصلاحات الانجليزية والادارة الجديدة، الاقتصاد العيني في القرية الفلسطينية، وقامت بتحويل الزراعة من الصيغة البطيركية الى الصيغة الرأسمالية. بيد ان ثمن هذا التحول قد دفعه معظم الفلاحين. وكان استغلال انجلترا المتقدمة، اشد وطأة على الفلاحين من استغلال تركيا المتخلفة. فبالمحافظة على الاساليب التركية التي استخدمها الانجليز فيما بعد، ادخلت الاساليب العصرية في المناطق التي لم تكن فيها الطرق القديمة كافية. بهذا استطاعت سلطة الانتداب جعل مجمل دخل قطاعات الفلاحين الاساسية (عدا فئة الفلاحين الاغنياء الرفيعة)، ينتقل من جيوب الفلاحين الى خزينة الحكومة.

السياسة الضرائبية:

لقد ذكرنا سابقا ان السلطة الانجليزية بدلت العشر العيني بالعشر النقدي. نتيجة هذا الاصلاح تسارع تحول اقتصاد الفلاح العيني الى اقتصاد سلعي. لكن تبديل العشر العيني بالعشر النقدي عمليا، ادى الى زيادة الثقل الضرائبي على كاهل الفلاح، الذي اصبح ملزما بدفع الفرق بين اسعار منتجات الزراعة وقت التخمين قبل الحصاد، واسعارها اثناء المبيع عندما تهبط اسعار المحصول الجديد. اثناء العشر النقدي يبقى سوء استخدام التخمين الحكومي ممكنا، الذين (والحق يقال) يحصلون على رواتبهم كنسبة مئوية من الضريبة التي حصلوها.

هذا، كما في النظام القديم، زيادة في تقييم محصول الفقراء، وقليل بمحصول الاغنياء، (يجري التقييم بالمشاهدة العينية)، طلب الرشوة من اجل اجراء التقييم السريع وسواه.

ما هو العشر والورقة لاستثمارات الفلاحين؟ الجدول التالي يعطي صورة اوضح تم الوصول اليها بناء على المعطيات الحكومية:

لقد بحثت استثمارة فلاحية نوعية في منطقة الناصرة في ثلاث قرى. حجم الاستثمارة ١٠ هكتارات من الارض وقدر المحصول بـ ١٢ جنيهاً استرلينياً، و٦٥ قرشاً النفقات.

اجر العمال (الحراسة - الحصاد) عيني ونقدي	٣،٧٨ جنيه استرليني
البذار السماد وسواه و (هلاك الحيوانات والادوات)	٣،٩٢ جنيه استرليني
العشر	١،٥٨ جنيه استرليني
الورقة	١،٤٠ جنيه استرليني

المجموع = ٩،٤٨ جنيه استرليني